آليات التماسك النصي ودلالاتها في قصيدة "البائية" للشاعر الكميت بن زيد الأسدي

أ.م.د. رسول بلاوي
جامعة خليج فارس، بوشهر/ إيران
د. عبد النبي الأشقر
جامعة مونبيلييه ٣/ فرنسا
الباحث مهدي حسن سكران المحمد
جامعة الشهيد بهشتي/ إيران

المقدمة:

يُعدّ التماسك النصي من أهمّ الموضوعات في الدراسات اللسانية التي يحتاجها الفرد في فهم النصوص الشعرية والنثرية، إذ يعتبر التماسك تعلق عناصر النص بعضها البعض، بوساطة أدوات شكلية، أو علاقات دلالية، تسهم في الربط بين عناصر النص الداخلية، والنص والبيئة المحيطة من ناحية أخرى؛ لتكون في النهاية رسالة يتلقاها متلق يتفاعل معها سلباً أو إيجابا. وقد كان اهتمام الباحثين في دراسة الشعر والاستشهاد به في النحو والصرف والبلاغة، من الأمور المسلم بها، لاسيما الشعر الجاهلي والشعر في العصر الأموي وكذا العباسي.

جاءت هذه الدراسة لكي تسلّط الضوء على نصوص الشاعر الكميت بن زيد الأسدي حيث انه يعتبر من أشهر شعراء أهل البيت في العصر الأموي، وقد نظّم العديد من القصائد، في مدح أهل البيت، وعرفت هذه القصائد بالهاشميات. ومن هذه القصائد بائية الكميت حيث جاءت الحاجة إلى دراسة آليات التماسك النصي ودلالاتها لغرض التطبيق على النصوص الشعرية في القصيدة المذكورة آنفا.

وتسعى هذه الدراسة إلى الإجابة عن السؤالين التاليين:

– كيف استخدم الشاعر آليات التماسك النصي في قصيدة البائية؟

– ما هي دلالات هذه الآليات في تماسك النص الشعري؟

خلفية البحث:

كثرت الدراسات التي تطرقت إلى موضوع آليات التماسك النصي، سواء كان ذلك في القرآن الكريم، أم في القصائد الشعرية، أم في الخطب المأثورة، فهناك بحوث تطرقت إلى هذا الموضوع، منها:

– كتاب الترابط النصي في ضوء التحليل اللساني للخطاب، للباحث خليل ياسر البطاشي، دار جرير للنشر والتوزيع، ٢٠٠٩م.

– التماسك النصي بين النظرية والتطبيق (سورة الحجر أنموذجا) جامعة محمد خضير–بسكرة–قسم الأدب العربي–رسالة ماجستير–فطومة لحمادي–٢٠٠٤.

– التماسك النصي في سورة التوبة (إطروحة دكتوراه) جامعة اليرموك قسم اللغة العربية– خالد خميس مصطفى–٢٠٠٩م.

– التماسك النصي في جزء (تبارك)، جامعة اليرموك، رسالة ماجستير، إبراهيم أحمد محمد، ٢٠١٥ م.

– التماسك النصي في سورة الأنبياء، جامعة البلقاء، رسالة ماجستير، نعمات عبد الرؤوف، ٢٠١٥ م.

– التماسك النصي في جزء (عم) جامعة اليرموك، الأردن، أطروحة دكتوراه، نوال فالح محمد، ٢٠١٥ م.

– التماسك والاتساق النصي في قصيدة الورقة الأخيرة للشاعر (أمل دنقل) مجلة الجامعة الإسلامية– ٢٠١٧.

– التماسك النصي في الخطاب الشعري العربي القديم (لامية العرب للشنفري أنموذجا) رسالة ماجستير– بختي بوعمامة–٢٠١٨.

– الإحالة الضميرية وأثرها في التماسك النصي في القرآن الكريم (سورة الملك أنموذجا) جامعة واسط– كلية التربية–ميساء طه–٢٠١٩.

– دراسة في ظاهرة التماسك النصي في القرآن الكريم (سورة إبراهيم أنموذجا) الجزائر–كلية الآداب واللغات–قسم الأدب العربي–رسالة ماجستير–مبروكة سعيدي–٢٠١٩

مدخل:

أولا: حياة الشاعر:

هو «الكميت بن زيد الأسدي بن خنيس بن مخالد وُلد في أيام مقتل الإمام الحسين في أواخر سنة ٦٠ هـ وقتل في خلافة مروان بن محمد سنة ١٢٦ هـ بعد عام واحد من خلافة مروان وينتهي نسبه إلى قبيلة بني أسد بن خزيمة من مضر حيث كان يتميز عن باقي الشعراء فقيل فيه انه كان ذكيا، حاضر الجواب منذ صغره، كاتبا حسن الخط، خطيب بني أسد، فقيها متضلعا بالفقه، فارسا شجاعا، سخيا، حافظا للقران، وهو أول من ناظر في التشيع مجاهرا بذلك» (الغدير، ج٢ص٢٨٦).

مفهوم التماسك النصي لغة:

الميم والسين والكاف أصل واحد صحيح يدل على حبس الشيء أو تحبسه (ابن فارس، ٢٠٠٨، مادة: م س ك)

يقال: أمسكت عليه ماله: حبسته، والتمسك: استمساكك بالشيء، يقال: مسكت بالشيء مسكاً، وتمسكت وامتسكت واستمسكت، بمعنى أخذت به وتعلقت وأعتصمت وأمسكته بيدي إمساكا قبضته باليد. وأمسكته عن الأمر كففت عنه (الفيومي، د. ت، مادة: م س ك)

وإمساك الشيء: التعلق به وحبه ويقال أمسكت عنه كذا: أي منعته (الأصفهاني، د. ت، ص ٦٠٦) ويقال: ماتماسك أن قال ذلك أي: ما تمالك، ويقال: إنه لذو مسكه وتماسك: أي ذو عقل، كما يقال: ما به تماسك إذا لم يكن فيه خير (ابن منظور، ١٩٩٥، مادة، م س ك).

هذه الدلالات المعجمية تدور حول معنى: الاحتباس والأخذ والاعتصام بالشيء، والتعلق به وحفظه، والمنع والاعتدال والصلابة والارتباط، والعلاقة بين هذه المعاني وتماسك النص. إنّ النص يقوم على الترابط والتماسك، فيأخذ بعضه ويعتصم ببعض، ما يكسبه منعة وقوة وصلابة.

ثانيا: مفهوم التماسك اصطلاحا:

التماسك: يعني العلاقات والأدوات الشكلية والدلالية التي تسهم في الربط بين عناصر النص الداخلية، وبين النص والبيئة المحيطة من ناحية أخرى (الفقي، ٢٠٠١: ص ٩٦).

لتكون في النهاية رسالة يتلقاها متلق، فيفهمها ويتفاعل معها سلبا أو إيجاباً. أي أن التماسك يتعلق بمكونات عالم النص ويمكن أن يخلق في النهاية بيئة دلالية كبرى متسقة منسجمة (البحيري، ٢٠٠٠م، ص ١٧٣).

يتحقق التماسك النصي في اللغة بخمس وسائل هي: الإحالة والابدال والحذف والوصل (الربط) والتماسك المعجمي.

المبحث الأول: الإحالة:

أ. معنى الإحالة من الناحية اللغوية:

الإحالة: مصدر الفعل أحال، والمعنى العام لهذا الفعل هو التغيير ونقل الشيء إلى شيء آخر (ابن منظور، ١٩٩٥، مادة ح و ل)

ب. تعريف الإحالة اصطلاحا:

الإحالة هي من العناصر المهمة التي تساهم بشكل فعال في تماسك النص واتساقه، وقد ذكر علماء النص للاحالة تعريفات عده. فقد عرفها ميرفي: «هي تركيب لغوي يشير إلى جزء ما، ذكر صراحة أو ضمنا في النص الذي سبقه أو الذي يليه» (الجرف. ٢٠٠١، ص ٨٢)

وعرفها كلماير بقوله: «الإحالة هي العلاقة القائمة بين عنصر لغوي يطلق عليه (عنصر التعلق) وضمائر يطلق عليها (صيغ الإحالة) وتقوم المكونات الاسمية بوظيفة عناصر العلاقة أو المفسر أو العائد إليه» (كلماير وأخرون، ٢٠٠٩، ص ٢٤٨).

وقد أشار (روبرت دي بوجراند) في تعريفه للاحالة بأنها «العلاقة بين العبارات من جهة، وبين الأشياء والمواقف في العالم الخارجي الذي تشير إليه العبارات»(١٩٩٨، ص ١٢٢)

والإحالة عند (سعيد حسن بحيري) هي: «إحدى الأبنية التي تتشكل منها البنية الكلية للنص، فالبنية النصية نظام من البنى، كل بنية لها قواعدها الخاصة تقيم بها وجها من وجوه النص» (بحيري، ٢٠٠٥م، صص ٩٦ – ٩٧)

والإحالة بهذا المفهوم عنصر من عناصر التماسك النصي التي لا يكاد يخلو منها نص؛ لأن المتكلم يجنح دائما للاختصار في كلامه فيبتعد عن الإعادة والتكرار، ويحتاج إلى ربط الألفاظ والجمل والعبارات، وإلى ربط النص بعضه البعض، وربطه بالسياق أو المقام إن احتاج إلى ذلك.

وتنقسم الإحالة من حيث النوع إلى نوعين:

١- الإحالة المقامية أو الخارجية: هي «إحالة إلى خارج النص؛ أي الإحالة لغير المذكور، مما هو موجود في المقام الخارجي، كأن يحيل ضمير المتكلم المفرد إلى ذات صاحبه المتكلم، فيربط عنصر لغوي إحالي بعنصر إشاري غير لغوي هو ذات المتكلم، ويمكن أن يشير عنصر لغوي إلى المقام ذاته، في تفاصيله أو مجملا، فيمثل كائنا أو مرجعاً موجوداً مستقلاً بنفسه، فهو يمكن أن يحيل إليه المتكلم» (الزناد، ١٩٩٣م، ص ١١٩)؛ ويعتمد هذا النوع من الإحالة على السياق ومقتضى الحال خارج حدود النص.

ويمكن لنا أن نضرب المثال الآتي بقوله سبحانه (إنه لقول رسول كريم. وماهو بقول شاعر قليلاً ما تؤمنون) (الحاقة: ٤٠ و٤١)، فقارئ الآية يجد أن الضمير المتصل (هاء) في التركيب (إنه) والضمير

المنفصل البارز (هو) يحتاجان النظر خارج النص القرآني نفسه لتحديد المحال إليه، وهذا بالتحديد يكون من المقام أو السياق أو المعارف السابقة. وقد أشار المفسرون إلى أن المحال إليه من خلال هذين الضميرين هو القرآن الكريم (عفيفي، ٢٠٠١، ص ١٢٢).

٢_ الإحالة النصية أو (الداخلية): ويطلق عليها أيضا الإحالة داخل اللغة أو المقالية (المصدر السابق، ص ١١٧). وتتمثل في «إحالة لفظة إلى لفظة أخرى سابقة أو لاحقة داخل النص، أي أنها تركز على العلاقات اللغوية في النص ذاته وقد تكون بين ضمير وكلمة أو كلمة وكلمة، أو عبارة وكلمة» (الفقي، ٢٠٠١م، ج١، ص١).

أ. الإحالة القبلية:

وهي استعمال لكلمة أو عبارة تشير إلى كلمة أخرى أو عبارة أخرى سابقة في النص (الفقي، ٢٠٠١ م، ج١، ص١). ومن أمثلة ذلك (الله الذي خلق السماوات والأرض وما بينهما في ستة أيام ثم استوى على العرش ما لكم من دونه من ولي ولا شفيع افلا تذكرون) (السجدة: ٤). تميل الضمائر البارزة أو المستترة في هذه الآية الكريمة في التراكيب (خلق (هو) استوى (هو) دونه (إلى لفظ الجلالة الله) التي وردت في أول الآية، وكذلك اسم الموصول (الذي) ومنه الإحالة نصية قبلية.

ب. الإحالة البعدية: وهي استعمال لكلمة أو عبارة تشير إلى كلمة أخرى أو عبارة أخرى تستعمل لاحقاً في النص أو المحادثة (المصدر السابق: الصفحة نفسها). مثال ذلك قوله تعالى (قل هو الله أحد) (سورة الإخلاص) فالضمير (هو) يحيل إلى لفظ الجلالة الله المذكورة بعده ومنه فالإحالة نصية بعدية.

ويمكن اجمال أنواع الإحالة في المخطط التالي (الخطابي، ١٩٩١، ص ١٧):

–الوسائل (الأدوات) الإحالية:

١. الضمير:

للضمائر دور هام في تحقيق التماسك النصي، إذ تنوب عن الأسماء والعبارات والجمل، وتعد عنصراً من عناصر الربط النحوي فهي تربط أجزاء النص بعضها ببعض فتحدث بذلك انسجاماً وتوازنا بين عناصره، فتسهم الضمائر في إزالة الغموض والابهام عن العديد من الألفاظ والجمل، وتعد بمثابة الواسطة التي تربط بينها، إذ يعد «الربط بالضمير بديلا لإعادة الذكر أيسر من الاستعمال، وأدعى إلى الخفة والاختصار، بل إن الضمير إذا اتصل فقد أضاف إلى الخفة والاختصار عنصراً ثالثا وهو الاقتصار» (البطاشي، ٢٠٠٩، ص ١٦٧).

وقبل أن نسوق الحديث حول الضمائر في تحقيق التماسك النصي لقصيدة البائية، من الجدير أن نسوق بعضاً منها عن تعريفها لغة واصطلاحا.

لقد جاء في لسان العرب (لابن منظور): «ضمر، الضمر، الهزال ولحاق البطن. والضمير السر وداخل الخاطر، والجمع الضمائر... والضمائر من المال الذي لا يرجع رجوعه» (١٩٩٥، ج ٤، ص ٤٩١، مادة: ضمر).

أما الضمير في اصطلاح النحاة العرب فهو: «اسم جامد يدل على متكلم أو مخاطب أو غائب» (حسن، ١٩٧٤، ص ٢١٧).

فالضمير يشير إلى المتكلم أو المخاطب أو الغائب، و هو «ما وضع لمتكلم أو مخاطب أو غائب تقدم ذكره لفظا أو معنى أو حكما» (الاستربادي، ١٩٧٢، ج٢، ص٤٠١).

والضمير من حيث التعريف والتنكير، هو أقوى أنواع المعارف «ولا يدل على مسمى كالاسم ولا على الموصوف بالحدث كالصفة، ولا حدث وزمن كالفعل. فالضمير كلمة تدل على عموم الحاضر والغائب دون دلالة على خصوص الغائب أو الحاضر» (بوقره، ٢٠٠٩، ص ١٢٢).

إنّ الضمائر تحتاج إلى مفسر يعود عليها ويوضح معناها، فهو يقوم مقام الاسم الظاهر للمتكلم أو المخاطب أو الغائب وهي أهم العناصر الاحالية في تماسك النصوص، إذ تقوم بعملية الربط بين المحيل

والمحال إليه. بالإضافة إلى ذلك تُعد الضمائر بحسب براون وبول: «أفضل الأمثلة على الأدوات التي يستعملها المتكلمون للإحالة على كنايات معطاة» (براون وبول، (د ت)، ص ٢٥٦)

وقد قسّم علماء اللغة العربية الضمائر إلى قسمين أساسيين:

١. ضمائر وجودية، مثل: أنا، نحن، هو، هي، هم، هن... إلخ

٢. ضمائر ملكية، مثل: كتابي، كتابك، كتابهم، كتابه.... إلخ

وتتقسم الضمائر الوجودية والملكية إلى ضمائر المتكلم والمخاطب والغائب، وغالباً ماتكون الإحالة مع هذه الضمائر خارجية مقامية، كاستعمال الضمائر التي تشير إلى المتكلم أو الكاتب أو الضمائر التي تشير إلى المخاطب (الخطابي، ١٩٩١، ص ١٨).

أ. الإحالة بضمائر المتكلم: هو الشخص الذي يقوم بتوصيل الرسالة إلى المتلقي أو السامع، وذلك بهدف توصيل وتحقيق غايات مختلفة، وإذ يعد المتكلم ركيزة أساسية في عملية التوصيل «وبدون المرسل لا تكون اللغة فاعلية» (الشهري، ٢٠٠٤، ص ٤٥).

وضمائره سبعة هي: أنا، نحن، إياي، إيانا، الياء المتصلة بالفعل أو الاسم نحو (كلمني، وحظي)، و(نا) نحو (نظرنا) في الفعل و (حظنا) في الاسم و (التاء) نحو (قمت) (الفضلي، ١٩٨٠م، ص ٤٤).

الإحالة الضميرية في قصيدة البائية للكميت بن زيد الأسدي:

رقم البيت	العنصر الإحالي	المرجع	نوع الإحالة
١	ت، الضمير المتصل (طربت)	الشاعر	خارجية
	أنا، الضمير المستتر في (أطرب)	الشاعر	خارجية
	هو الضمير المستتر في (يلعب)	الشاعر	قبلية
٢	الياء الضمير المتصل (يلهني) الياء الضمير المتصل (يتطربني)	الشاعر الشاعر	خارجية خارجية

٣	الضمير المنفصل (أنا) في (ولا أنا)	الشاعر	خارجية
٤	الضمير المستتر أنا في (أغضب)	الشاعر	خارجية
٥	الضمير المستتر هو في (يطلب)	الخير	قبلية
٦	هم الضمير المتصل (بحبهم)	النفر البيض	قبلية
	الياء الضمير المتصل في (ناياني)	الشاعر	خارجية
	أنا الضمير المستتر (أتقرب)	الشاعر	خارجية
٧	هم الضمير المتصل (بهم) لهم	بني هاشم	قبلية
	أنا الضمير المستتر في (أرض)	الشاعر	خارجية
	أنا الضمير المستتر (أغضب)	الشاعر	خارجية
٨	ت، الضمير المتصل (خفضت)	الشاعر	خارجية
	هم الضمير المتصل (لهم)	بني هاشم	قبلية
٩	ت الضمير المتصل (كنت)	الشاعر	خارجية
	هم الضمير المتصل (لهم)	بني هاشم	قبلية
	أنا الضمير المستتر في (أذم، أقصب)	الشاعر	خارجية
١٠	أنا الضمير المستتر (ارمى، وأرمي)	الشاعر	خارجية
	ها الضمير المتصل (أهلها)	العداوة	قبلية
	هم الضمير المتصل (فيهم)	بني هاشم	قبلية
	أنا الضمير المستتر (أؤنب)	الشاعر	خارجية
١١	الياء الضمير المتصل (سائني)	الشاعر	خارجية
	هم الضمير المتصل (فيهم)	بني هاشم	خارجية
	الياء الضمير المتصل (يجتديني)	الشاعر	خارجية
	هو الضمير المستتر (فيجدب)	امرئ	قبلية

كثرت الضمائر في القصيدة، فلا يكاد يخلو بيت من ضمير يسهم في ترابط الأبيات الشعرية حيث يلحظ من الجدول أن الإحالات توزعت خارجية وقبلية وأغلب الضمائر المتصلة تحيل إلى ذات الشاعر وبذلك حقّقت تلك الضمائر التماسك النصي في أبيات القصيدة.

وقد حقّق الانتقال (العدول) أو الالتفات: التحول من ضمير المتكلم إلى المخاطب أو العكس أو من ضمير الخطاب إلى الغائب، حيث يقول الشاعر:

فقل للذي في ظل عمياء جونة يرى الجور عدلا أين تذهب

فالفعل *قل* فيه ضمير المخاطب أنت، وفي الفعل (يرى) نلحظ الضمير المستتر هو فالشاعر تحول من ضمير المخاطب إلى ضمير الغائب وبذلك تحقّق الالتفات، وهذا يزيد النص الشعري تماسكا وقوة ترابط.

المبحث الثاني: الاستبدال:

الاستبدال لغة واصطلاحا:

أولاً: الاستبدال لغة:

أصل الاستبدال في اللغة أخذ شيء مكان شيء، وقد ورد في لسان العرب لابن منظور «وبدل الشيء غيره، وتبدل الشيء واستبدله، واستبدل به كله: اتخذ منه بدلا.. واستبدل الشيء بغيره وتبدله به: إذا أخذه مكانه، والأصل في الابدال جعل شيء مكان شيء آخر» (ابن منظور،١٩٩٥، ص ٢٣١، مادة بدل).

كما جاء في تهذيب اللغة للأزهري «وابدلت الخاتم بالحلقة: إذ نحيت هذا وجعلت هذا مكانه... وبدلت الحلقة بالخاتم إذا اذبتها وجعلتها خاتما وحقيقته أن التبديل تغيير الصورة إلى صورة أخرى، والجوهرة بعينها والابدال تنحية الجوهرة واستئناف جوهرة أخرى» (الأزهري، ٢٠٠١، ص ١٣٢)

وعليه فإن جل التعاريف اللغوية للاستبدال تشمل وتشترك في لفظ واحد ألا وهو الابدال والتبديل والمبادلة، فهي تعني تبديل الشيء بغيره، واستبداله منه.

نستنتج أن الابدال والاستبدال في اللغة بمعنى واحد، وهذا ما ذهب إليه محمد عناني في تناوله للمصطلح الإنكليزي (substitution) حيث ترجمه بالابدال والاستبدال، والمعنى المستقى من هذين المصطلحين هو جعل شيء مكان شيء آخر (عناني، ٢٠٠٣، ص٣٥٠).

وقد عني القدماء والمحدثون على حد سواء بالاستبدال، فالقدماء تناولوه بوصفه تابعا من التابع، والنصيون تناولوه بوصفه وسيلة من وسائل التماسك النصي (الفقي، ٢٠٠١م، ص ١١٧).

ثانيا: الاستبدال اصطلاحا:

يُعدّ الاستبدال من أهم عناصر التماسك النصي، ويعرفه النصيون بعدة تعريفات، نذكر منها تعريف (هاليداي ورقية حسن) بأنه: «عملية تتم داخل النص، إنه تعويض عنصر في النص بعنصر آخر» (الخطابي، ١٩٩١، صص ١٩ – ٩٧٦)

ويسمى التعبير الأول من التعبيرين (المنقول) المستبدل منه، والآخر الذي حل محله المستبدل به، و«إذا وقع المستبدل منه والمستبدل به في مواقع نصية متوالية، فإنهما يقعان في علاقة استبدال نحوية بعضها ببعض، ويوجد في حالة الاستبدال النحوي بين المستبدل به والمستبدل منه مطابقة إحالية» (فولفجانج هانيه، ٢٠٠٤م، ص ٦٠).

أنواع الاستبدال:

يفرق نحاة النص بين ثلاثة أنواع من الاستبدال، وهذه الأنواع تتمثل في الصيغ الاسمية والفعلية والقولية التي جرى عليها الاستبدال، والجدول التالي يلخص أنواع الاستبدال النصي كما وضحها هاليداي و رقية حسن.

أنواع الاستبدال:

١. الاسمي

٢. الفعلي

٣. القولي (الفقي، ٢٠٠١، ص ٢٦٨)

١. الاستبدال الاسمي:

وفيه تستبدل الكلمات (same،ones ،one) (خطابي، ١٩٩١، ص ٢٠) من أسماء أخرى متقدمة عليها في النص نفسه ويقابلها في العربية (الكلمات، واحد، واحدة، آخر، أخرى) ويمكن أن يكون اسم الإشارة مستبدلا لعنصر آخر متقدم عليه، وقد ساق لنا أحمد عفيفي الشاهد الشعري الآتي:

فتاتان أما منهما فشبيهة ال هلال والأخرى منهما تشبه الشمسا

وقد حذف في الشطر الأول (أما الأولى منهما) واستبدل في الشطر الثاني والتقدير (الفتاة الأخرى) فتم الربط (عفيفي، ٢٠٠١، ص ١٢٣).

أمثلة تطبيقية من قصيدة البائية للشاعر الكميت بن زيد الأسدي:

نجد أن الشاعر قال في البيت الخامس:

ولكن إلى أهل الفضائل والنهى وخير بني حواء والخير يطلب

حيث عبّر في صدر البيت عن بني هاشم بأهل الفضائل وعبّر في عجزه عنهم بخير بني حواء والمراد واحد في الصدر وفي العجز.

ثم قال:

إلى النفر البيض الذين بحبهم إلى الله في ما نالني أتقرب

فنجد أن في صدر البيت عبّر عن بني هاشم بقوله (النفر البيض) حيث نجد أن الاستبدال جلياً.

ثم قال:

بني هاشم رهط النبي فإنني بهم ولهم أرضى مراراً وأغضب

فقد عبّر عن الكلمات والأوصاف المختلفة في ألفاظها المنطبقة في معناها بصدر البيت (ببني هاشم) فهذه الكلمة يشار بها إلى الكلمات السابقة (أهل الفضائل) و (خير بني حواء) و (النفر البيض).

٢. استبدال فعلي:

وهو أن يستبدل فعل محل فعل آخر متقدم عليه، وقد استبدل الشاعر في البيت الأول الفعل (طربت) في صدر البيت بأطرب، حيث يدل الأول على الزمن الماضي، والثاني يدل على المضارع وكذلك استبدل في البيت الثاني الفعل يلهني بقوله (أولم يلهني) بالفعل (يتطربني) بقوله (ولم يتطربني بنان مخضب) مثلا الفعلين دال على (اللهو) وكذلك استبدل الفعل (أصاح) بقوله (أصاح غراب) بالفعل تعرض بقوله (أم تعرض ثعلب) حيث أن كلا الفعلين يدلان على التطير والشئم.

٣. استبدال قولي:

وفيه «يحل عنصر لغوي محل عبارة داخل النص.، ويشترط أن يتضمن العنصر المستبدل به محتوى العبارة المستبدل منها، أي انه استبدال لجملة بكاملها، فتقع أولا جملة الاستبدال، ثم تقع الكلمة المستبدله خارج حدود الجملة مثل: هذا، وتلك....» (الخطابي ١٩٩١، ص ١٩) وقد وقع الاستبدال القولي في قول الشاعر:

يشيرون بالأيدي إلي وقولهم ألا خاب هذا والمشيرون أخيب

فقد أشار باسم الإشارة "هذا" إلى قوله في صدر البيت يشيرون بالأيدي إلي وقولهم. وفي بيت آخر تضمن هذا المعنى إذ يقول الشاعر:

فطائفة قد كفرتني بحبكم وطائفة قالوا مسيء ومذنب

وجاء الرد في البيت اللاحق باسم الإشارة هاتيك وذلك بقول الشاعر:

فما سائني تكفير هاتيك منهم ولا عيب هاتيك التي هي أعيب

فاسم الإشارة "هاتيك" يشير إلى قوله في البيت "فطائفة قد كفرتني". وكذلك في قول الشاعر:

وقالوا ترابي هواه ورأيه بذلك أدعى فيهم وألقب

حيث أن اسم الإشارة ذلك هو استبدال عن القول ترابي هواه ورأيه.

المبحث الثالث: الحذف:

أ. لغة: حذف الشيء: حذف خذفا: «قطعه من طرفه يقال: حذف الحجام الشعر، وحذف: اسقطه وحذف بالعصا ونحوها: رماه وضربه بها» (المعجم الوسيط، مادة حذف، ص ١٦٢).

ب. اصطلاحا: «الحذف ظاهرة لغوية عامة تشترك فيها اللغات الإنسانية حيث يميل الناطقون إلى حذف بعض العناصر المكررة في الكلام أو حذف ما قد يمكن للسامع فهمه اعتمادا على القرائن المصاحبة حالية كانت أو لفظية، كما قد يعتري الحذف بعض عناصر الكلمة الواحدة فيسقط منها مقطع أو أكثر...» (حمودة، ١٩٩٩، ص ٤)

-مواطن الحذف:

حالات الحذف كثيرة ومختلفة منها الحذف لكثرة الكلام وذلك لتجنب الإطالة، والحذف لوجود قرائن تدل المحذوف، والقطع للضرورة الشعرية، أو للتقيد بالقاعدة النحوية وغير ذلك. وقد وردت في قصيدة البائية جملة من المحذوفات نذكر منها على سبيل المثال لا الحصر. قال الشاعر:

ولم يلهني دار ولا رسم منزل ولم يتطربني بنان مخضب

فنجد أن الفعل المضارع المجزوم في صدر البيت قد حذفت منه الياء وفي عجز البيت نجد أن الفعل المضارع "يتطربني" قد جزم بحرف "لم" وعلامة الجزم السكون فحذفت الضمة التي كان مرفوعا بها قبل دخول *لم* عليه.

وقد يحذف مفعولي الفعل المتعدي لمفعولين إذا دل عليه دليل كما هو في قول الشاعر:

بأي كتاب أم بأية سنة ترى حبهم عاراً عليّ وتحسب

فتحسب: فعل مضارع مرفوع بالضمة لأنه لم يسبق بناصب أو جازم وهو من الأفعال التي تتعدى لمفعولين. والفاعل: مستتر تقديره أنت ومفعولاه: محذوفان لدلالة مفعولي "ترى" عليهما والتقدير "تحسب حبهم عارا علي" حيث حذف مفعولي اختصارا. وفي بيت آخر للشاعر يقول فيه:

وعك ولخم والسكون وحمير وكندة والحيان بكر وتغلب

فنجد أن الشاعر قال وعك: وهو خبر لمبتدأ محذوف تقديره هذه، فحذفت هذه: وذلك لوجود قرينة تدل عليه وهو الخبر.

المبحث الرابع: الوصل (الربط):

الوصل لغة:

ورد في معجم العين للخليل بن أحمد الفراهيدي (ت ١٧٥ هـ) قوله: «وصل: كل شيء اتّصل بشيء فيما بينهما وصلة. وموصل البعير: مابين عجزه وفخذه» (الفراهيدي، ١٤٢٤، ج٤، ص ٣٧٤)

وقد ورد في المنجد للويس معلوف (ت ١٣٦٦ هـ) قوله: «وصل يصل وصلا وصلة، وصلة الشيء بالشيء: لأمه وجمعه وربطه به... وهو مايصل بين الشيئين» (معلوف، مادة وصل، ص٩٠٣ – ٩٠٤).

من خلال النظر في المعنى اللغوي المتعدد لمادة وصل تجد أن المعنى واحد، لايخرج عن الاتصال الشيء بالآخر.

الوصل اصطلاحا:

الوصل: يُعدّ الوصل عنصراً من العناصر الأساسية التي تساهم في تحقيق ترابط النص وتماسكه، ويعرفه (هاليداي و رقية حسن) بأنه:« تجديد في الطريقة التي يترابط بها اللاحق مع السابق بشكل منتظم» (خطابي، ١٩٩١، ص ٢٣). ووظيفته تقوية الأسباب بين الجمل وجعل المتواليات مترابطة متماسكة باستخدام أدوات تظهر في فضاء النص وينقسم إلى:

وصل إضافي وعكسي وسببي وزمني (المصدر السابق، ص٢٤)

ويمكن تحديد أشكال الوصل في القصيده فيما يأتي:

أ. الوصل الإضافي ويعني: «مجموعة العلاقات بين المساحات السطحية، أو بين الأشياء التي في هذه المساحات، والصور التي تترابط بأنواع الربط المختلفة، يحسن أن تعد ذات نظام سطحي متشابه» (دي بوجراند، ٢٠٠٧، ص ٣٤٦).

ومن بين أدوات الوصل الإضافي التي وضفها الشاعر واكتفى بها للحفاظ على تماسك النص في قصيدته:

١. (الواو) الداله على مطلق الجمع، ولا غرابة في هذا. فهي أصل حروف العطف وأم الباب؛ لكثرة استعمالها من جهة، ولما تدخله من دلالات جديدة من جهة أخرى، ولما لها من أهمية بالغة في إحداث التماسك النصي، والاقتصار اللغوي، وقد تكررت مرات كثيرة، أسهمت في بناء النص، يربط عناصره بعضها بالبعض الآخر مشكلة شبكة مترابطة الأطراف، ويمكننا توضيح ذلك بنماذج من القصيدة:

أ. الربط الثنائي بين كلمتين مثل: أذم وأقصب في قول الشاعر:

وكنت لهم من هؤلاك وهؤلا مجناً على اني أذم وأقصب

وكذلك أجل وأرجب في قول الشاعر:

ومن غيرهم أرضى لنفسي شيعة ومن بعدهم لا من تجل وأرجب

وكذلك مسيء ومذنب في قول الشاعر:

فطائفة قد كفرتني بحبكم وطائفة قالوا مسيء ومذنب

فنلاحظ أن الواو قد ربطت بين الكلمات (أذم وأقصب) و(أجل وأرجب) و(مسيء ومذنب)

ب. ربط الجمل، كالربط بين الجمل الفعلية نحو قول الشاعر:

بأي كتاب أم بأية سنة ترى حبهم عارا علي وتحسب

فقد ربط الشاعر الجملة الفعلية الأولى التي تبدأ بالفعل ترى والجملة الثانية التي تبدأ بالفعل تحسب والترابط بينهما حرف الواو. وكذلك في قول الشاعر تم الربط بوساطة بين جملتين فعليتين في قول الشاعر:

أريب رجالاً منهم وتريبني خلائق مما أحدث هن أريب

فنجد أن الشاعر ربط بين الجميلتين الفعليتين بواسطة (الواو) (اريب و تريبني)

ج. وقد يكون الربط بين شطري البيت نحو قول الشاعر:

أقاربنا الأدنون منهم لعلة وساستنا منهم ضباع وأذؤب

فما لي إلا آل أحمد شيعة ومالي إلا مذهب الحق مذهب

فنلحظ أن الشاعر ربط بين صدري البيت وعجزيهما بواسطة حرف الوصل (الواو) وهذا مما يزيد من تماسك النص الشعري.

د. وقد يكون الربط على مستوى الأبيات الشعرية كما في قول الشاعر:

فبوركت مولودا وبوركت ناشئاً وبوركت عند الشيب إذا أنت أشيب

وبورك قبر أنت فيه وبوركت به وله أهل لذلك يثرب

فنجد الشاعر قد عطف بحرف (الواو) الأبيات الشعرية مما جعل ظاهرة التماسك النصي فاعلة في ترابط الأبيات الشعرية.

٢. الفاء:

وهي إحدى حروف الوصل الإضافي التي توحي بمجيء الثاني بعد الأول، فهي تقتضي الترتيب والتعقيب. ومن أمثلة ما جاء في قصيدة البائية للشاعر الكميت بن زيد الأسدي ما يأتي:

لينتجوها فتنة بعد فتنة فيفتصلوا أفلائها ثم يريبب

فإن هي لم تصلح لحي سواهم فإن ذوي القربى أحق وأقرب

فنجد الشاعر قد استخدم حرف العطف (الفاء) بين الجمل والأبيات وهذا مما يجعل النص متماسكا.

فالشاعر «يربط بين صورتين تكون محتوياتها متماثلة وصادقة غير أن الاختيار لابد أن يقع على محتوى واحد، ويمكن استخدام (أو، مثلاً)» (عفيفي، ٢٠٠١، ص١٢٩).

قال الشاعر:

فمن أين أو أنى وكيف ظلالهم هدى والهوى شتى بهم متشعب

فنجد الشاعر قد عطف اسم الاستفهام أنى على اسم الاستفهام أين بحرف العطف أو.

الوصل أو (الربط) الاستدراكي (لكن)

يربط الاستدراك على سبيل السبب بين صورتين من صور المعلومات، بينهما علاقة تعارض، ويمكن استخدام (لكن، بل، مع ذلك) (المصدر السابق، ص ١٢٩)

عندما نجد أمرين متضاربين فيما بينهما، ونريد الربط بينهما نستخدم أما: (لكن، أو بل، أو مع ذلك)

وهذا الربط وبهذه الأدوات يسمى (الاستدراك). وقد جاء قول الشاعر:

ولكن إلى أهل الفضائل والنهى وخير بني حواء والخير يطلب

حيث استدرك الشاعر بـ"لكن" ليبين لنا أن طربه إلى أهل الفضائل وأهل النهى وهم بنو هاشم.

الوصل (الربط) الزمني

وهو علاقة بين إطروحتي جملتين متتابعتين زمنيا، ويتحقق ذلك بفضل عناصر مثل (ثم، بعد، ذلك، أخيراً). فتكون ثم للترتيب (بمهلة) فهي تفيد التراخي حيث يكون المعطوف متراخياً عن وقت المعطوف عليه. قال الشاعر:

لينتجوها فتنة بعد فتنة فيفتصلوا أفلائها ثم يربيب

فقد عطف بين يفتصلوا وبين يربيب بثم لأنه هناك فاصل زمني بين تمام الرضاع وبين يربيوا أي يربحونها ويربونها لبيعة أخرى.

المبحث الخامس: التماسك المعجمي:

التماسك المعجمي: مظهر من مظاهر اتساق النص، وهو ذلك التماسك الحاصل بين المفردات والجمل المشكلة للنص، (الخطابي، ١٩٩١، ص ٢٤). والتماسك المعجمي يتحقق بواسطة علاقتي: التكرار والتضام.

أ. التكرار: هو «شكل من أشكال التماسك المعجمي يقتضي إعادة عنصر معجمي أو ورود مرادف له أو شبه مرادف أو عنصر مطلق أو اسم عام» (عفيفي، ٢٠٠١، ص ١٠٦). ويعد التكرار المعجمي مظهرا من مظاهر التماسك المعجمي ويقتضي إعادة وحدة معجمية ظاهراً أو دلاليا أو بالاثنين معا، وبهذا يتحقق التماسك لأجزاء النص؛ إذ أن النصية تتحقق بالتكرار من خلال «إعادة ذكر لفظ، أو عبارة، أو جملة، أو فقرة، وذلك باللفظِ نفسه أو بالترادف وذلك لتحقيق أغراض كثيرة أهمها تحقيق ترابط عناصر النص المتباعدة» (الفقي، ٢٠٠١، ج٢، ص٢٠).

١. تكرار الكلمة نفسها:

هذا النوع من التكرار تتدرج تحته ثلاثة أنواع رئيسة هي التكرار المباشر، التكرار الجزئي، والاشتراك اللفظي. وهي متمثلة كما يأتي: التكرار المباشر والتكرار الجزئي.

١. التكرار المباشر للعنصر المعجمي: وهذا النوع من التكرار يشير أن المتكلم يواصل الحديث عن نفس الشيء، بما يعني استمراره عبر (النص). ومنه قول الشاعر:

بأي كتاب أم بأية سنة ترى حبهم عارا علي وتحسب

وكذلك قول الشاعر:

فمالي إلا آل أحمد شيعة ومالي إلا مذهب الحق مذهب

وكذلك:

وفي غيرها أياً وأيا تتابعت لكم نصب فيها لذي الشك منصب

وبوركت مولودا وبوركت ناشئا وبوركت عند الشيب إذ انت أشيب

وبورك قبر انت فيه وبوركت به وله أهل لذلك يثرب

فنجد الكلمات (أي، مالي، أيا، بوركت) قد تكررت وهذا التكرار يدل على التكرار المباشر.

٢. التكرار الجزئي: ويقصد به «استخدام المكونات الأساسية لكلمة (الجذر الصرفي) مع نقلها إلى فئة أخرى، ومثال ذلك: حكم، يحكم، حكومة حيث يشترك عنصران معجميان أو أكثر» (محمد، ٢٠٠٩م، ص ١٠٧) ومثال ذلك في قصيدة شاعرنا:

طربت وما شوقا إلى البيض أطرب ولا لعبا مني وذو الشيب يلعب

وكنت لهم من هؤلاك وهؤلا مجنا اني أذم وأقصب

أريب رجالاً منهم وتريبني خلائق مما أحدثوا هن أريب

يشيرون بالأيدي إلي وقولهم ألا خاب هذا والمشيرون أخيب

فنجد الأمثلة التي وردت في الأبيات الشعرية (طربت، أطرب) (لعبا، يلعب).

(هؤلاك، هؤلا) (أريب، تريبني) (يشيرون، المشيرون) كلها تتشابه في الحروف وهذا يدل على التكرار الجزئي.

ب. التضام: وهو من الظواهر الشكلية التي تسهم في تحقيق التماسك المعجمي، والربط بين أجزاء الكلام ويعني «توارد زوج من الكلمات بالفعل أو القوة، نظراً لارتباطهما بحكم هذه العلاقة أو تلك» (الخطابي، ١٩٩١، ص ٢٥). مثل علاقة التضاد والتنافر والترادف، وهذه العناصر المتعالقة هي التي تعطي المقطع صفة النص (المصدر السابق، ص ٢٢٨). قال الشاعر:

فطائفة قد كفرتني بحبكم وطائفة قالوا مسيء ومذنب

فالطائفة الأولى الموجودة في صدر البيت دالة على طائفة من الكافرين والطائفة الثانية الموجودة في عجز البيت محالة للانتقاص من الشاعر بالإساءة والذنب.

الخاتمة:

بعد هذه الدراسة العلمية في رحاب (آليات التماسك النصي ودلالاتها في قصيدة "البائية" للشاعر الكميت بن زيد الأسدي) والتي كان الهدف منها ذكر وشرح وتفصيل ما جاءت به لسانيات النص في تطبيق أدوات التماسك النصي على شعر الكميت من أجل الكشف عن الوسائل التي أسهمت في تماسكه، فقد توصل البحث إلى مجموعة من النتائج يمكن تلخيصها كالتالي:

– استعمل الشاعر في قصيدته البائية وسائل وأدوات إحالية مختلفة، أسهمت في اتساق وحداته النصية وانتظام العناصر المكونة لها، فجعلت منها نسيجا متماسك الوحدات والأطراف.

– استخدم الشاعر أسلوب الاحتجاج في بيان مناقب أهل البيت عليهم السلام مستندا بذلك إلى القرآن الكريم أو إلى الأحاديث النبوية الشريفة مما ساعد المتلقي على معرفة التفاعل مع النصّ.

– أكدت الدراسة أن المستوى المعجمي يعنى بدراسة الوحدة اللسانية وعلاقتها بغيرها من الوحدات اللسانية الأخرى في السياق الداخلي للنص وذلك من خلال التكرار والنظام.

– شغلت الإحالة الداخلية والخارجية في النصوص الشعرية مساحة واسعة ودورا بارزاً في تماسك القصيدة.

– الاستبدال في قصيدة البائية له دور في تجنب التكرار مما ساهم مساهمة فعالة في ربط أجزاء القصيدة، وبالتالي حصول التماسك النصي.

– الوصل أو الربط شغل حيزاً واسعاً في تماسك القصيدة لاسيما وقد تعددت أدواته فهو تارة يربط كلمة بأخرى وتارةً جملة بأخرى، وتارةً نصا شعريا بآخر.

المصادر والمراجع:

١. الأزهري، محمد بن أحمد، تهذيب اللغة، تحقيق: محمد عوض مرعب، بيروت، دار إحياء التراث العربي، ٢٠٠١م.

٢. الاستراباذي، رضي الدين محمد بن الحسن، شرح الكافية، ج١، تصحيح يوسف حسن عمر، بيروت: دار الكتب العلمية، ١٩٧٩.

٣. ابن منظور، محمد بن مكرم، لسان العرب، ج٨، ط١، بيروت، دار إحياء التراث العربي، ١٩٩٥م.

٤. بوعمامة، بختي، التماسك النصي في الخطاب الشعري العربي القديم (لامية العرب للشنفري أنموذجا)، رسالة ماجستير، ٢٠١٨.

٥. الخطابي، محمد، لسانيات النص: مدخل إلى انسجام الخطاب، بيروت: المركز الثقافي العربي، ط١، ١٩٩١م.

٦. حمودة، طاهر سليمان، ظاهرة الحذف في الدرس اللغوي، الإسكندرية، الدار الجامعية، ١٩٩٩.

٧. دي بوجراند، روبرت، النص والخطاب والإجراء، ترجم تمام حسان، الشاهرة، عالم الكتب، ط ٢، ٢٠٠٧م.

٨. سعيدي مبروكة، دراسة في ظاهرة التماسك النصي في القرآن الكريم (سورة إبراهيم أنموذجا) الجزائر، كلية الادب واللغات، قسم الأدب العربي، رسالة ماجستير، ٢٠١٩.

٩. عبد الرؤوف، نعمات، التماسك النصي في سورة الأنبياء، جامعة البلقاء، رسالة ماجستير، ٢٠١٥ م.

١٠. عفيفي، أحمد، نحو النص اتجاه جديد في الدرس النحوي، القاهرة، مكتبة زهراء الشرق، ٢٠٠١.

١١. العمايرة، حنان محمد، التماسك والاتساق النصي في قصيدة الورقة الأخيرة للشاعر (أمل دنقل) مجلة الجامعة الإسلامية الإسلامية للبحوث الإنسانية، مج٢٦، ع٢، ٢٠١٧.

١٢. عناني، محمد، المصطلحات الأدبية الحديثة، القاهرة، الشركة المصرية العالمية للنش، ٢٠٠٣.

١٣. طه، ميساء، الإحالة الضميرية وأثرها في التماسك النصي في القرآن الكريم (سورة الملك انموذجا) جامعة واسط، كلية التربية، ٢٠١٩.

١٤. الفراهيدي، خليل بن أحمد، العين، بيرت، دار الكتب العلمية، ١٤٢٤هـ.

١٥. الفقي، صبحي إبراهيم، علم اللغة النصي بين النظرية والتطبيق، القاهرة، دار قباء، ٢٠٠١م.

١٦. فولفجانج هانينه مان، مدخل إلى علم لغة النص، ترجمة سعيد حسن بحيري، القاهرة، مكتبة زهراء الشرق، ٢٠٠٤.

١٧. محمد، أحمد محمد، التماسك النصي في جزء (تبارك)، جامعة اليرموك، رسالة ماجستير، ٢٠١٥ م.

١٨. محمد، عزّة شبل، علم لغة النّص (النظرية والتطبيق)، كتبة الآداب، ط ٢، ٢٠٠٩م.
١٩. محمد، نوال فالح، التماسك النصي في جزء (عم) جامعة اليرموك، الأردن، أطروحة دكتوراه، ٢٠١٥ م.
٢٠. مصطفى، خال خميس، التماسك النصي في سورة التوبة (أطروحة دكتوراه) جمعة اليرموك قسم اللغة العربية، ٢٠٠٩
٢١. المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية بالقاهرة (إبراهيم مصطفى وأحمد الزيات وحامد عبد القادر ومحمد النجار) القاهرة، دار الدعوة.
٢٢. معلوف، لويس، المنجد في اللغة، بيروت،المطبعة الكاثوليكية
٢٣. لحمادي، فطومة، التماسك النصي بين النظرية والتطبيق (سورة الحجر أنموذجا) جامعة محمد خضير، بسكرة، قسم الأدب العربي، رسالة ماجستير، ٢٠٠٤.